بسم الله الرحمن الرحيم

د/ محمد بن عبد الرحمن بن محمد المفدى

رئيس قسم النحو والصرف وفقه اللغة سابقا في كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

❖ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن حمد بن محمد آل مفدى.

وهم يرجعون في نسبهم إلى آل علي ثم آل سعيد ثم آل عاصم من قحطان.

هذا هو المستفيض لدى آل مفدى وأبناء عمهم: المقحم والقاسم والمنيع والمحارب والسيف وغيرهم، وهو الصحيح الذي عليه أهل المعرفة من المعنيين بالأنساب وقد ذكر ذلك الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - في كتابه: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد. القسم الثاني (٧٩٢,٦٤٠).

❖أما ما ذكره الشيخ إبراهيم العبيد - رحمه الله - في كتابه: تذكرة أولي النهى والعرفان. ٢/٢٥٠- ٢٥٥ ، من أن آل مفدى يرجعون في نسبهم إلى الظفير، وما ذكره الشيخ عبدالله البسام - عليه رحمة الله - في كتابيه: علماء نجد خلال ستة قرون ٢/٦٣٨، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون ٤/٤٤٦ ، من أن آل سعيد يرجعون إلى الظفير فغير صحيح .

❖و ما ذكره - أيضًا - مؤلف كتاب (التحفة الذهبية في أنساب الجزيرة العربية) إبراهيم بن جارالله بن دخنه الشُريفي التميمي - وفقه الله - ص ٤٥٩-٤٦٣ ، ٤٧٩-٤٨٣ من أن آل مفدى ومنهم :

آل شهوان وآل ضاحي يرجعون إلى مُفيد الذي يرجع إلى شُريف بن جروه بن أَسيد بن عمرو بن تميم، فلم يثبت، بل هو خلاف المشهور بين أهل المعرفة بالأنساب في نجد.

❖والظاهر أنه اعتمد في ما ذكره على ما جاء في كتاب: إمارة الزبير بين هجرتين ١٣١/٢-١٣٣ تأليف: عبدالرزاق بن عبدالمحسن الصانع وعبدالعزيز بن عمر العلي في ترجمة الشيخ محمد بن شهوان بن عبدالله بن شهوان من قولهما: "وهم من الشريفات الأجود" وهذا قول لا أعرف له أصلا .

❖ولدت في بلدة (أُشَيقر) بالوشم أحد أقاليم نجد بالمملكة العربية السعودية ، في شهر رجب عام خمسين وثلاثمئة وألف هجرية (١٣٥٠هـ = ١٩٣٢م) هذا ما كان يحدثني به والدي - رحمه الله - لكن في حفيظة النفوس الخاصة بي أني ولدت في شهر رجب عام ١٣٥٧هـ وهو الذي أثبت ذلك والله أعلم بالصواب.

❖وفي السنة السادسة من عمري أصابني (الجَدَري) وبسببه كُف بصري.

❖وفي الثامنة من عمري انتقلت مع أسرتي إلى بلدة (شقراء) المجاورة لـ (أشيقر) وفيها قضيت جانبًا من شبابي، ثم غادرتها إلى مدينة (الرياض) عام (١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧م) تقريباً وبقيت فيها ما يقارب خمس سنوات .

❖وفي عام (١٣٧٠هـ = ١٩٥١م) في آخر شهر شعبان انتقلت إلى مدينة (الطائف) وبقيت فيها حتى عام (١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م) ثم عدت إلى مدينة (الرياض)

❖حفظت في بلدة (شقراء) القرآن الكريم على يدي الشيخ عبدالعزيز الحنطي، والتحقت بمدرستها الابتدائية في السنة الثالثة، وفي آخر السنة الرابعة تركت المدرسة بسبب سفري إلى (الرياض) وفي هذه المدة أخذت مبادئ الفقه والنحو والحساب والجغرافيا والحديث وحفظت شيئًا من الشعر.

❖وفي مدينة الرياض (المرحلة الأولى) جلست في حلقة فضيلة الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ - غفر الله له - وأخذت عنه النحو في كتاب (الآجرومية) والفرائض في كتاب (الرحبية)، وفي هذه المدة حفظت بعض المتون منها: زاد المستقنع ومفردات الإمام احمد وبلوغ المرام وكشف الشبهات وكتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.

❖وفي مدينة (الطائف) التحقت بمدرسة دار التوحيد عام (١٣٧١هـ = ١٩٥٢م) وبقيت فيها عاماً ونصفا وحفظت في هذه الأثناء ديوان المتنبى وديوان أحمد شوقي وديوان حافظ إبراهيم وديوان معروف الرصافي، وذلك خارج الدراسة المنهجية. أمّا الدراسة المنهجية فتشمل علوم العربية والعلوم الدينية، والتاريخ وكان القائمون عليها جهابذة من علماء العربية والدين وجلهم من المصريين الأزهريين رحمهم الله.

❖ وبعد عودتي إلى(الرياض) التحقت بالمعهد العلمي السنة الثانية، وبعد نجاحي من السنة الثالثة أُتيح لي مع مجموعة من زملائي دراسة السنة الرابعة في الصيف فاجتزت اختبارها، وبذلك أنهيت سنوات المعهد لأنه كان أربع سنوات وذلك في عام (١٣٧٣هـ =١٩٥٤م)

❖وفي عام (١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م) التحقت بكلية اللغة العربية بالرياض وتخرجت فيها عام (١٣٧٧هـ =١٩٥٨م) وكان ترتيبي الأول بين زملائي والحمد لله.

وكان عددنا واحدا وعشرين ونحن الدفعة الأولى من خريجي هذه الكلية.

❖وفي أثناء دراستي بالكلية تعلمت الكتابة والقراءة بالخط البارز (برايل) وكان معي اثنان من زملائي هما: أ.د. محمد بن سعد بن حسين والشيخ علي السُوَيِّد - رحمهما الله - فكنا أول من تعلمها في المملكة العربية السعودية على يدي الأخ أحمد أبا حسين، قدم من (الزبير) للدراسة في كلية الشريعة وهو مكفوف.

وفي هذه الأثناء تعلمت اللغة الإنجليزية في مدرسة مسائية أنشأتها وزارة المعارف، وصحب ذلك تعلم النسخ بالآلة الكاتبة العربية والإنجليزية، وكنت أكتب موضوعات مقرر (الإنشاء) بالآلة الكاتبة.

❖وفي هذه المدة قرأت كثيرًا من كتب الأدب وحفظت بعض الدواوين الشعرية.

❖وفي عام (١٣٧٨هـ = ١٩٥٩م) عُينت مدرسًا في معهد الرياض العلمي واقتصر تدريسي على علم النحو.

❖وفي عام (١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م) نُقلت للتدريس في كلية اللغة العربية بالرياض، وظللت أزاول عملي فيها مدرسًا للنحو والتصريف حتى بلغت سن التقاعد عام (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م) ثم واصلت العمل فيها بعقد حتى عام (١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م) وفيه أنهيت العمل في الجامعة بناءً على رغبتي. وظللت أتابع الإشراف على اثنين من الطلاب في رسالتيهما المسجلتين للحصول على (الدكتوراه) قبل تقاعدي حتى عام (١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م)

❖وفي أثناء عملي التحقت بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر في القاهرة للحصول على شهادة التخصص (الماجستير) عام (١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦م) وقد حصلت عليها عام (١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م)

وفي عام (١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م) سجلت في الكلية نفسها موضوعًا للحصول على العالِمية (الدكتوراه) وكنت أتابع البحث والتحقيق حتى عام (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م) وفيه ابتعثتني إدارة المعاهد العلمية والكليات إلى القاهرة للحصول على الشهادة العالِمية (الدكتوراه) فواصلت البحث والتحقيق في الكلية المذكورة حتى حصلت على تلك الشهادة عام (١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م)

.

❖والفضل في إقبالي على الدراسة يرجع إلى الله - عز وجل - ثم إلى والدي - عليه رحمة الله - كان يحثني على طلب العلم، يذكرني بكبار طلابة العلم من المكفوفين وغيرهم وكان لايفتؤ يردد على مسمعي قول الحكيم:

العلم يرفع بيتًا لا عماد له والجهل يهدم بيت العزّ والشرف

الأعمال الإضافية:

١- عُيِّنت عضوا في مجلس معهد العالي للقضاء مدة سنتين .

٢- أُسندت إليّ رئاسة قسم النحو والصرف وفقه اللغة في كلية اللغة العربية بالرياض بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام (١٤٠١هـ = ١٩٨١م وظللت أشغل ذلك العمل حتى عام (١٤١٥هـ = ١٩٩٥م)

٣ - شاركت في عضوية مجلس الكلية من عام (١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م) حتى (١٤١٥هـ = ١٩٩٥م)

٤ - عينت عضوا في المجلس العلمي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مدة ست سنوات.

٥ - عُينت عضوا في لجنة الترشيح والاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي من عام (١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م) حتى عام (١٤١١هـ = ١٩٩١م)

٦ - عملت مستشارًا لغويًا لدى وزارة التخطيط مدة عامين.

٧ - أخترت عضوًا في اللجنة الثقافية في جمعية الثقافة والفنون السعودية.

عضوية اللجان:

١ - لجنة إعداد مناهج كلية التربية للبنات.

٢ - لجنة عقدها اتحاد الجامعات العربية بالرياض للتحضير لندوة تعليم اللغة العربية في الجامعات العربية المعقودة بالجزائر.

الندوات:

١ - شاركت في ندوة خبراء اللغة العربية لبحث وسائل تطوير معلميها في الوطن العربي عام (١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م)

٢ - شاركت في ندوة تعليم اللغة العربية في الجامعات العربية عام (١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م) المعقودة في الجزائر.

رئاسة اللجان في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:

١ - لجنة البحث والنشر التابعة للمجلس العلمي .

٢ - لجنة الخطة المثلى التي كونها المجلس العلمي.

٣ - لجنة ظاهرة الضعف العام في استعمال اللغة العربية المكونة من قِبل المجلس العلمي.

الرحلات:

قمت بعدد من الرحلات خارج المملكة العربية السعودية إلى بعض الدول ومنها: الجزائر، الأردن، الهند، باكستان، الفلبين، انجلترا، الولايات المتحدة الأمريكية مرتين.

الأعمال العلمية:

١-(ما) في اللسان العربي

بحث مساند لمتطلبات دراسة (الماجستير)

منسوخ بخط اليد

جرى تعديل عنوانه إلى (حديث ما)

٢ - حديث (ما) أقسامها وأحكامها، طبعه النادي الأدبي بالرياض عام (١٤٠٠ هـ =١٩٨٠م)

٣-الأداة الكبرى (ما)

نواته البحثان السابقان (١، ٢)

لم يكمل العمل فيه حتى الآن، وهو استدراك على البحثين السابقين بالتوسيع والزيادة والحذف والمناقشة.

آمل أن أوفق إلى إتمامه على الوجه الذي أتمناه.

أتوقع أن يخرج في ثلاثة أجزاء.

٤ - (مَن) أقسامها وأحكامها ، نُشر في مجلة كلية اللغة العربية بالرياض عام (١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م)

٥- حققت النصف الأول من كتاب (تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد) وعلقت عليه، تأليف الشيخ محمد بن أبي بكر الدّمامينيّ المتوفى عام (٨٢٧هـ=١٤٢٤م) وينتهي هذا الجزْء بباب إعمال المصدر.

و صدر هذا العمل في ثمانية أجزاء متتابعة من عام (١٤٠٣ هـ= ١٩٨٣م) إلى عام (١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م)

وكان هذا الكتاب موضوع رسالة العالِمية (الدكتوراه)

٦- النسب إلى ما آخره ياء، نشر في مجلة كلية اللغة العربية بالرياض عام (١٤٠١هـ=١٩٨١م)

٧- ا لدّماميني: حيا ته وآ ثاره ومنه جه في كتا به (تعل يق الفرا ئد) و هو مقد مة ر سالة الدكتوراه، طبعته الجمعية السعودية للثقافة والفنون عام (١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م)

لم أجده في مكتبتي، والله أعلم بمصيره.

٨ - دفاع عن مناهج النحويين القدماء، نشر في اثنتي عشر حلقة في جريدة الرياض عام (١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م).

٩ - أسباب انصراف الطلاب عن أقسام اللغة العربية، بحث أ عد لندوة الجزائر ونشر في مجلة كلية اللغة العربية بالرياض عام (١٤٠٤هـ=١٩٨٤م) وطبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٠- ما تل حن ف يه ال صحف (م شترك مع ز ميلين) صدر في مدي نة الر ياض عام (١٤٢٢هـ=٢٠٠١م)

١١- حق قت ك تاب (إن باه الأذ باه ع لى تحق يق إ عراب لا ا له إلا الله) تأليف ال شيخ أ بي إسحاق إبراهيم بن حسن ال كوراني (١١٠١ هـ=١٦٩٠م) ونشرته على حسابي في مدينة الرياض عام (١٤٤٠هـ=٢٠١٨م) في أربعة أجزاء.

١٢- حققت كتاب (عجالة ذوي الانتباه في تحقيق إعراب لا إله إلا الله) تأليف إبراهيم بن حسن الكورانيّ ملحق بكتاب (إنباه الأنباه)

١٣- حققت نبذة عنوانها (مباحث متعلقة بكلمة التوحيد) تأليف / محمد جلال الدين بن أسعد الصديقي الدوانيّ (٨٣٠-٩١٨هـ=١٤٢٧-١٥١٢م) ملحقة بكتاب (إنباه الأنباه)

١٤- ترجمة جدي عبد الرحمن رحمه الله-. (لم تنشر).

١٥- ترجمة الشيخ عبد الله بن محمد المفدى رحمه الله. (لم تنشر).

١٦- مشكلات التعليم والهدف المنشود.

نشر في جريدة الجزيرة في ٢٣ رجب ١٤٣٦هـ=١٢/ ٠٥/ ٢٠١٥ م.

١٧- صون الحديث الشريف طاعة والطعن فيه معصية.

نشر في جريدة الرياض الجمعة ٢٧ صفر ١٤٣٦هـ= ١٩ ديسمبر ٢٠١٤م -العدد ١٦٩٧٩.

في حلقتين.

١٨- فضل صلة الرحم وعظيم ثوابها وعقاب قطيعتها

جرى توزيعه في اجتماع عشيرة آل مفدى يوم الجمعة ١٤٣٦/٦/٢٨ هـ

١٩- النسخ في القرءان حق وعليه برهان.

بحث في حلقتين تضمن الرد على ما ذكرته د- سهيلة بنت زين العابدين حول هذا الموضوع.

نشر في صحيفة المدينة ١٤٣٦/٦/٤هـ=٢٠١٥/٤/٢٤ م، ١٢/ ٦/ ١٤٣٦هـ-٠٥/٠١/ ٢٠١٥م

٢٠- تنظيم تطبيق البرامج التعليمية الدولية في المدارس الأهلية: مناقشة نظامية العواقب والآثار.

نشر في جريدة الرياض اليومية الأحد ١٠ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ= ٢٧ مايو ٢٠٠٧م، العدد ١٣٢١٦.

٢١- يوم اللغة العربية.

نشر في جريدة الجزيرة السبت ١١ رجب ١٤٣٥هـ= ٠٥/١١/ ٢٠١٤ م، حلقتان.

<u>ولي بحوث صغيرة لم تنشر منها :</u>

١ - إعراب أدوات الشرط والاستفهام.

٢ - النسب إلى فَعيلة.

٣ - رسم الياء المتطرفة.

٤ - النعوت المتعددة.

٥- إعراب (لتبلونّ) في قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ...﴾ [آل عِمْرَان الآية ١٨٦]

٦- إعراب (والموفون ، والصابرين) في قوله تعالى ﴿ ۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البَقَرَة الآية ١٧٧]

٧- إعراب (والمقيمين) في قوله تعالى :﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ [النِّسَاء الآية ١٦٢]

٨- ملحوظات على الإذاعتين: المسموعة والمرئية.

هذه الملحوظات ضمنتها رسالة بعثتها إلى صاحب السمو الملكي رئيس مجلس الإعلام الأعلى.

٩- مقترحات لتنشيط حركة البحث في الجامعة.

١٠- مقترحات متعلقة بإنشاء مجمع للغة العربية

مقدمة لمعالي رئيس مجلس الشورى بدون تأريخ مع أهميته.

❖ نشرتُ عددًا من المقالات والقصص في الصحف السعودية منها:

١ - قصة بعنوان " بأيديهم " نشرت في صحيفة الجزيرة.

٢- المكفوف في مجتمعنا نشر في مجلة الدعوة.

٣- قبل تحرير الرقيق نشر في صحيفة الندوة.

٤- السبت لا يحل المشكلة

نشر في جريدة الجزيرة في ١٤٣٤/٧/١٤هـ العدد ١٤٨٤٨- ٢٠١٣/٠٥/٢٤م.

٥-من الفائز ؟

نشر في جريدة الشرق في ٦/ ٥/ ١٤٣٤هـ= ٢٠١٣/٣/١٨م.

٦-مسيرة التعاون

نشر في مجلة المفدى التي توقفت.

٧-فضل اللغة العربية.

٨-حديث المساجد (المؤذِّن، الإمام، المأموم، الوزارة)

نشر في جريدة الجزيرة في أربع حلقات عام ١٤٣٢هـ= ٢٠١١م.

٩-حوار مع معتمر: شجون مكة والمسجد الحرام.

نشر في جريدة الرياض في حلقتين السبت ١ ذي القعدة/ ١٤٣١هـ-٩ أكتوبر ٢٠١٠م - العدد ١٥٤٤٧، الجمعة ٧ ذي القعدة ١٤٣١هـ- ١٥-أكتوبر ٢٠١٠م- العدد ١٥٤٥٣.

١٠-دمعة حائرة.

مقال أبّنت فيها صديقي في شبابي وزميلي في الدراسة والعمل أ- د- محمد بن سعد بن حسين.

١١-مقال موضوعه رؤية الهلال

نشر في جريدة الرياض.

١٢-مقال يتعلق بالدعوة إلى تجنيس العلماء غير السعوديين من العرب وغيرهم

نشر في جريدة الرياض وسحب من طبعتها الثانية

❖وأذيع لي كثير من الأحاديث في إذاعة المملكة العربية السعودية بالرياض.

أشرفت على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه.

شاركت في مناقشة عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه في داخل جامعة الإمام وخارجها.

شاركت في فحص كثير من الكتب والبحوث لجامعة الإمام ولغيرها من الجامعات العربية ومراكز البحث.

وفيما يلي حصر أعدادها:

أ - رسائل الدكتوراه: إشراف ١١.

ب - رسائل دكتوراه: مناقشة ١١.

ج - رسائل ماجستير: إشراف ٧.

د - رسائل ماجستير: مناقشة ١٦.

هـ - الفحص: ١٣.

هذا وأسأل الله تعالى العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة... وآخر دعوايَ أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إعداد

صاحب الترجمة

وذلك في مدينة الرياض

١٤٤٣/١١/٦هـ

٢٠٢١/٦/٥م

هذا الإصدار ناسخ لما قبله.

التقريظ

(الشيخ العلاَّمة: د. محمد بن عبد الرحمن المفدى)

همةُ تغالب الذات

د. فهيد بن رباح بن فهيد الرباح

الحياة عسرها ويسرها له أثر على معاش الناس صفاءً وكدراً، وعلى ذات الشخص نفسه قبولاً ونكداً، فقد يجري على الشخص أمر من أقدار الله ما يثنيه عن مطمحه ومطلبه، ويحدد له مسير حياته ويرسمه، فيخط هذا القدر له طريقه على الرغم من أن ذلك المسير وذلك المختط بالأصل غير مرغوب فيه من صاحبه، وليس له فيه مطلب ولا مكسب ولا مكتسب، بل ربما لو خير به لتسخط عليه واستأباه ورفض قبوله وتلبسه= غير أن القضاء إذا حم فليس للإنسان إلا التسليم والخضوع، فالأقدار مكتوبة، والناس سائرة وفق أقدارها.

وكلامي سيكون على الجزيرة العربية وأبنائها، فابن الجزيرة العربية في عصر سبق عصرنا هذا الرغيد، وأعني به عصراً ليس بالبعيد تلم به الأمراض وتعصف به الأوبئة، فقد كانت هذه الجزيرة العربية تجتاحها الأمراض والأوبئة ولو كانت منعزلة عن غيرها، وهذه حال أجزاء من جزيرة العرب كمثل بلاد نجد، فقد كانت في منقطع ومنعزل عن بقية العالم، ومع ذلك تجتالها الأوبئة وتصيب ساكنيها، وديارهم صحراء نظيفة الأجواء، طقسها يتميز بالقسوة شديد الحرارة صيفاً قارس البرودة شتاءً، وأهلها كسبهم ومعيشهم من ديارهم من غير خلطة بالشعوب الأخرى، فحالها مختلف عن بلدان السواحل، والبلدان الداخلية تختلف عن البلدان البحرية قطعاً، وأما انتشار الأوبئة والأمراض في بلاد نجد خصوصاً والبلدان المنعزلة عموماً التي ليست بلداناً على طريق السابلة، غالباً ما يكون ذلك مما تنقله الرياح التي تقدم من أقاصي الأرض.

ومسبب آخر وكان هو الأكثر، وهو موسم الحج، فالحجيج فيهم الصحيح والسقيم، ومنهم العليل الذي يجلب علته معه، ويختلط بأهل الحرم وبالحجيج؛ فينتقل فيما بينهم، ثم يتلقفه الحاج النجدي القادم للحج، وينقله إلى ديياره إذا عاد إلى مقر سكناه وأهل بلدته، وينتشر حينئذ في تلك الديار المنعزلة، والخلطة بين الحجيج هي سبب رئيس لانتقال الأمراض، فالحجاج يقدمون إلى الديار المقدسة والمشاعر من شتى أقطار الأرض، وهناك بلاد موبوءة تنتشر فيها الأوبئة بسبب بيئتها أو طقسها أو طعامها أو شرابها، أو غير ذلك من الأسباب فيقدم الحاج من تلك البلاد حاملاً معه المرض وناقلاً ذلك الفيروس، وفي الموسم وخلطته بالناس وأداء النسك ينتشر بين الحجيج، وهكذا.

ومن تلك الأمراض جرثومة الجدري أو فيروس الجدري الذي كان يعصف بالناس، فإما أن يزهق الأرواح، وإما أن يشوه الأجساد وتسلم منه الأرواح وقد يصيبها بالعمى، وينجو منه من ينجو سالماً= وكلها أقدار مكتوبة، وأقضية نافذة.

وهذا الداء كغيره من الأدواء قد يكون ثقيلاً على بعض الأجساد وعلى بعضها أخف، ولعل ذلك راجع إلى أن بعض الأجساد أحمل من بعض في احتمال الأمراض، والجسوم بلا شك بعضها أقوى من بعض في تلقي الأمراض.

وكان فضيلة الشيخ العلامة: د. محمد المفدى ممن ابتلي في صغره بهذا الداء فأفقده كريمتيه عوَّضه الله بهما في الجنة النعيم والحبور، وكان الشيخ ذا عزيمة فلم يثنه ذلك عن مرامه أو يستضعفه، أو يجعله في الرتبة الدون، بل فاق الشيخ بهمته أترابه من الأصحاء، وأبناء جيله من المبصرين ، فقد درس إلى أن بلغ الدراسة الجامعية وكان ذلك في حدود السبعينيات الهجرية، ولهمته الوثابة التي تغالب الذات رغب في الزيادة على ذلك فطمحت همته العالية في ذلك الزمن المتقدم الذي أبناء جيله من المبصرين لا يطمحون إليه كطموح شيخنا المفدى لكنها الهمة العالية، فمن طموح نفسه الوثَّابة أن رغب الدراسات العليا في دراسة (الماجستير والدكتوراه) فرحل الشيخ إلى مصر في جامعة الأزهر، وكان ذلك في الأعوام ما بين (1387هـ - 1396هـ)، وقد تحققت رغبته ونال طلبته، وعاد من مصر يحمل هذه الشهادات العالية المرموقة.

وكان بعمله هذا وطموحه السامق وهمته العالية نموذجاً ومثالاً يحتذى من أبناء جيله، ومن أتى من الأجيال بعد ذلك، وقد كان مما ينقل عنه- زاده الله فضلاً، وأمهل له في عمره- أنه يحسن أعمالاً لا يحسنها المبصرون في الكهرباء وتمديداته، والحاسوب وبرامجه وبرمجاته، وخلاف ذلك مما هو من مطاليب الحياة.

ولقد غالب الشيخ الحياة وعسير ظروفها وصعب أحوالها، وبلغ مناه بل ما يتمناه أهل عصره وأبناء جيله، وكان أستاذاً للنحو وعلامة له بلا منازع، وليس ذلك في جامعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فحسب، بل في جامعات المملكة العربية السعودية جميعها، وبين أساتيذها طرًّا، وله قدر ومكانة بين أهل تخصصه كلهم، كيف لا! وهو قد أمضى أكثر من ستين عاماً أستاذاً يدرس النحو والتصريف، وهو علامة نحوي هدك به من نحوي! إذ هو في النحو والصرف غير مغالب، لا ينطق إلا بالحجة ولا يختار إلا الوجه الأمثل من غير استرسال في تعداد الأقوال تكثراً ولا بذكرها تنفجاً، وكذلك من سمته عدم الإغراق والانغلاق بالصنعة والنشوز بها، وإهمال عوالق المعنى وعلائق الدلالة السياقية وإغفالها، بل مختاره هو المختار وراجحه هو الراجح.

وإذا داخل عليه مداخل برأي معارض لما اختاره فضيلته، أو بما يداخل على مختاره فإنه لا يغنث رأي معارضه ولا يتسداه وإن كان من شنص الرأي، وصاحبه من صغار الطلبة، بل يتأمل القول هنيهة، ثم يبين حكمه على هذا الاعتراض قبولاً وتصحيحاً، أو تهبيطاً وتضعيفاً.

وكان اسم الشيخ وما زال ملء السمع والبصر، وها هو الآن وهو شارع في العقد العاشر من عمره، يسير في ركاب التسعين- أطال الله في عمره، وأمهل بمحياه البلاد والعباد- يحقق الكتب وينشرها، ويعقد ببيته العامر بحي النزهة بالرياض مجلساً دوريًّا أحديًّا مغيرباناً يستقبل فيه من يزوره من ذوي رحمه في النسب والعلم، ويستقبل أسئلتهم ومناقشاتهم= تعرض عليه فيبدي فيها رأيه ورؤيته ما مسألة فقضية، كما كان يصنع ذلك وقت شبابه وأشده زاده الله فضلاً وعلماً وبركة.

وقد كنت أنا ومجموعة من زملائي في العام الجامعي: (1427م - 1428هـ) آخر مجموعة من طلابه الذين شرفوا بالدراسة على يديه؛ لأنه اعتذر عن التعاقد مع القسم للتدريس بعد ذلك، فختم بنا مسيره التعليمي، وكنا طلاباً لمرحلة العالمية (الماجستير) في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في قسم النحو والصرف وفقه اللغة أحد أقسام كلية اللغة العربية بالجامعة؛ وكان الشيخ حينذاك في الثمانين من عمره.

وللإحاطة والإعلام للقارئ الفطن النبيه أنني لم أكن وقتئذ صغيراً، بل قد جاوزت الخامسة والثلاثين من العمر وكنت أكبر تلك المجموعة وكبيرهم، وأنا لست قريب عهد بالدراسة الجامعية كغيري من الزملاء في الشعبة فإن قرب العهد وسني العشرين، إذ تلك السن من معهودتها إعجاب التلميذ بأستاذه وأساتذته، والمغالاة في بسط مدحتهم وتزكيتهم، أما أنا فقد جاوزت ذلك إذ عملت ما يقرب من عشر سنوات معلماً في التعليم العام مذ تخرجي في كلية اللغة العربية، فحديثي عن الشيخ وحكمي عليه معتضد بمشاهدات ومجالسات علمية خالية من وهج العاطفة وسيطرتها وغرام المحبة.

وكانت دراستنا بين يديه موزعة على عدد من الكتب ذات الثقل النحوي أصولاً ودقةً وتحقيقاً كمثل كتاب الإمام سيبويه الكتاب، وشرح كتاب التسهيل لابن مالك، ومغني اللبيب لابن هشام، وأمثال شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين، وهن كتب أصيلة في التخصص بل أصول.

وكنا نبحر معه في هذه الدواوين العلمية الأصيلة. يقرأ أحدنا والشيخ يعلّق ويملي تقييدات دقيقة ماتعة نافعة، هي خلاصة عمره العلمي الذي جاوز ستين عاماً، وصبابة فقهه في مسائل هذا العلم بهدوء ورزانة ونبرة هادئة وادعة تنبئ عن علم ثاقب ثابت وعقل راسخ راجح، فلا صخب ولا قعقعة، ولا غضب ولا زمجرة، وهو بهذا العلم جبل كما قلت من قبل هو ملء السمع والبصر في علم النحو والصرف خصوصاً، وعلوم العربية عموماً شعرها وأدبها وبلاغتها يدرك ذلك من لم يدرس على يديه بله من درس بين يديه، ومن نظر بحدود خمس تمرات، ثم بعد ذلك يخرج أيضاً علبة ماء كوباً مغلقاً من المياه الصحية المعلبة، والدرس منعقد وربما الطالب ما فتح شارعاً يقرأ نصوص سيبويه أو شروحات ابن مالك لتسهيله، والشيخ ينهي إفطاره ويعلق وينبه في مواطن الانغلاق، ونحن نستملي منه، ونأخذ عنه تقييداته، وهو بعد يستنطق الطلاب في موضع مناسب الأسئلة في النصوص المقروءة، ويقفنا على مواقع الاستيقاف، وكيف يستنبط الطالب من النص التراثي السيبويهي خصوصاً الأسئلة، ويبين - حفظه الله- طريقة قراءة النص القديم، ولمح اختلاف دلائل المصطلح بين النص القديم وبين النص النحوي المتأخر.

د. محمد بن عبد الرحمن المفدى

ولفضيلة الشيخ - حفظه الله ومتعه المتاع الحسن وآتاه من فضله- فضل على طلابه، وله أياد على من اقترب منه، وله بيضاء علي لا أنساها، فقد كان سبباً في انضمامي إلى أعضاء هيئة التدريس في جامعة الإمام - كلية اللغة العربية، في قسم النحو والصرف وفقه اللغة، وقد كنت قبلاً معلماً في وزارة التربية والتعليم، فانتقلت بسببه من التعليم العام إلى التعليم الجامعي، وذلك أنه أشار علي وقتما كنت طالباً بين يديه في مرحلة العالمية (الماجستير) بالتقديم على الإعادة في القسم، فاستعظمت ذلك وهبته ورأيت أن في ذلك كلفةً وجهداً، ولست كفئاً لذلك، فسهل علي ذلك ويسره؛ فاستنطقني بأن أذكر له ما يمنعني من التقدم بذلك، فذكرت له ذلك، فقال: الطلاب هم الطلاب هنا وهناك، والزملاء الأساتذة ستتعرف إليهم، وتزول الرهبة والغربة، وتنكشف الكربة، وكان كلامه بلسماً ميسراً، ومعزماً على ذلك الولوج في غمرات الجامعة وبين أساتذة الجامعة الأجلاء، وكان ذلك بحمد الله، فانتقلت إلى قسم النحو والصرف وفقه اللغة، وذلك بعد التقديم وعقد المقابلات الشخصية والعلمية، فنجز ذلك وتيسر ببركة رأيه ونصحه، والفضل لأهل الفضل، وكانت هذه أحد محامد زيارتي له في مكتبه بالكلية، فرأيه نعم الرأي! وقوله نعم القول! فجزاه الله خيراً وزاد مناقبه.

ومما يتعلم منه ويستفاد من الدراسة عليه الجد والحزم، فكان الشيخ لا يغيب عن محاضراته ولا يتأخر عنها، ومما يفاد منه أيضاً أنه كان حازماً في الدرجات، فقد حدث لي معه موقف في ذلك أني رغبت إليه أن يعزز درجاتي في النحو بدرجتين يتلمسهما لي لأصل إلى رتبة تكون فارقة في التقويم بتلقيب المجموع ما بين (أ، أ+) لكنه لم يجبني إلى ذلك، واعتذر أنه لا يستطيع لأنهما درجتان فلو كانت واحدة لربما؛ فكان ذلك لي درساً.

ومما يختص به أن له منهجاً، بل مدرسة في التحقيق، وخصوصاً في توثيق الأبيات إذ يطلب أن تذكر مناسبة القصيدة وسابق البيت ولاحقه من أبيات، وذلك منه عن بصيرة، فالمعنى حاكم في درك الإعراب، وتحصل المعاني هو محصلة النحو، وكذلك تبلغها للسامع لا يكون إلا بمعرفة مناسبة القصيدة أحياناً، وسوابق البيت ولواحقه.

متع الله الشيخ العلامة: د. محمد بن عبد الرحمن المفدى بالصحة والعافية، وأمتعنا الله وذويه وطلاب العلم بمهجته ومحياه، وأطال في عمره ويسر له كل عسير، وبارك له في عمله وعمره، وجزاه الله خيراً لقاء ما قدم في سني عمره المديدة للعلم وأهله وللمقربة ورحمه، جزاء العلماء العاملين والأئمة المهديين، اللهم أسبل عليه من نعمائك وفضلك ما أسبلته على أهل الديانة والتقى، وذوي العلم والرشاد. والحمد لله رب العالمين.

كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
fhrabah@gmail.com

الدكتور محمد السبيهين والدكتور المفدى في احتفائية به في جامعة الإمام